# الخلاف الأمريكي – الأوربي في السيطرة على المستعمرات الاسبانية في القارة الأمريكية (مراجعة مقال)

د. ميثاق شيال زورة

**الملخص:**

يعد الخلاف الأمريكي – الأوربي من المسائل الهامة التي استحوذت على العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر بشكل خاص على الرغم من أن المدة السابقة شهدت بروز الخلاف حول أحقية السيطرة على هذه المستعمرات والتي تعدها الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة بعد إعلان مبدأ مونرو عام ١٨٢٣، حقاً طبيعياً وأن لها القدرة على منع الدول الأوروبية من التدخل في شؤون القارة الأمريكية، لذلك دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في خلافات مستمرة مع الدول الأوروبية والتي كانت توجه أنظارها وبشكل مستمر صوب المستعمرات الإسبانية في القارة الأمريكية. لكن الحكومة الأمريكية كان لها الأولوية في السيطرة على تلك المستعمرات حتى لو اضطرها الأمر إلى الدخول في نزاعات مسلحة مع أي دولة أوروبية تقف عائقاً أمام تحقيق توسعها الاستعماري في تلك المناطق .

الكلمات المفتاحية: (خلاف أمريكي، أوربي، مصالح استعمارية).

# The American-European dispute over control of the Spanish colonies on the American continent (review article)

Dr.. mithaq shial zura

**Abstract:**

The American-European dispute is one of the important issues that dominated international relations during the nineteenth century in particular, although the previous period witnessed the emergence of a dispute over the right to control these colonies, which the United States of America, especially after the proclamation of the Monroe Doctrine in 1823, is a natural right and that It has the ability to prevent European countries from interfering in the affairs of the American continent, so the United States of America entered into continuous disputes with European countries, which were constantly directing their eyes towards the Spanish colonies in the American continent. But the American government had priority in controlling those colonies even if it had to enter into armed conflicts with any European country that stands as an obstacle to achieving its colonial expansion in those areas .

**المقدمة:**

شكلت مسألة التوسع الاستعماري والاستحواذ على أراضي جديدة في القارة الأمريكية وبخاصة تلك التي كانت تحت السيطرة الاسبانية والتي تشكل النسبة الأكبر والأهم من الأراضي، أهمية كبيرة في تاريخ القارة الأمريكية والتي وصلت إلى مرحلة العداء والتصادم المباشر بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية لنيل السيطرة على تلك الأراضي. وكانت الحكومة الأمريكية صاحبة القوة الأكبر والسيادة على تلك المناطق .

يعد اكتشاف القارة الأمريكية وطريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح، أعظم حدثين وأهمهما في تاريخ البشرية الحديث. وكان الإسبان أول من اتخذ الخطوات العملية والتفكير في طريقة حكم البلاد الجديدة قبل الاحتلال الكامل للمنطقة وكانت أول الخطوات العملية في إدارة الهند الأمريكية والجزر التابعة لها قد تمت بناءاً على القرارات التنظيمية التي أصدرها كريستوفر كولمبس في ٢٩ آيار ١٤٩٣ وكان الاسبان ينظرون إلى المناطق الجديدة التي يستولون عليها هي ممتلكات مكتسبة بالقوة تابعة لتاج قشتالة الاسباني.

حالما انتهت اسبانيا من عملية السيطرة على المستعمرات في البلاد الجديدة بدأت مرحلة الاستعمار التي استمرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد اعتمد الاسبان على أساليب مختلفة لتحقيق أهدافهم في الاستحواذ على الذهب ونقله بسفنهم إلى اسبانيا. أما باقي الدول الأوربية فيعود تاريخ توسعهم إلى عهد الاستكشافات الجغرافية والتي عقبها تأسيس امبراطوريات عالمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ومن أهم العوامل التي أثرت في حركة الكشوف الجغرافية كان العامل الديني فضلاً عن عامل الربح التجاري. وكانت هذه الأراضي مليئة بالسكان الأصليين وهم أصحاب حضارات تعود إلى آلاف السنين، وقد رضخوا للسيطرة الاسبانية والبرتغالية والتي كانت في مقدمة

الدول الاستعمارية الواصلة إلى المنطقة . وقد تركز النفوذ الاسباني في المكسيك أما البرتغالي فكان في البرازيل . وفي الواقع كان وصول الأوربيين إلى الأمريكيتين بمثابة الكارثة للسكان الأصليين .

وقد احتل موضوع الاستيطان جزءاً رئيساً في التاريخ الاستعماري للولايات المتحدة الأمريكية. وكان الاسبان قد اتخذوا نقطة الانطلاق نحو اليابسة في أمريكا الوسطى وجنوب غرب المنطقة المعروفة حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية، ولم يمض وقت طويل على وجودهم في البحر الكاريبي إلا وتمكنوا من مد سيطرتهم على غواتيمالا والمكسيك وكاليفورنيا والجهات المجاورة من ولاية تكساس ونيومكسيكو ونيفادا وغيرها من الولايات الأمريكية. وكان الهدف الأساس الذي تطلع ملوك إسبانيا في الوصول إليه هو نشر المسيحية بين الهنود الحمر، فضلا عن استغلال الجانب الاقتصادي.

وكان لظهور الدولة الوطنية الحديثة ذات المركزية القوية في أوروبا دوراً كبيراً في تشجيع الفلاحين على ارتياد البحار لكشف الطريق إلى الهند. وكان لدى المستكشفين الرغبة في حب الاستطلاع وعيش حياة مفعمة بالحوادث والمغامرات وكانت القارة الأمريكية عبارة عن مجموعة مستعمرات خاضعة لإنجلترا أو لفرنسا أو لإسبانيا والبرتغال، وهذه المستعمرات تباينت في العقيدة واللغة والآمال والأحلام.

وصل الإنكليز إلى الأراضي الجديدة بزوجاتهم ليتناسلوا يستقروا وكانت إنكلترا ثالث دولة أوروبية تتجه لتكوين مستعمرات في القارة الأمريكية بعدها إسبانيا والبرتغال وتوافرت عدة عوامل دفعت إنكلترا إلى القيام بذلك مثل الصراع الإنكليزي– الإسباني على السيادة البحرية فضلاً عن اضطهاد الكاثوليك الإنكليز منذ قيام حركة الإصلاح الديني في إنكلترا . واختلفت المستعمرات البريطانية فيما بينها بشكل كبير من حيث عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية . وعُدت المستعمرات الإنكليزية الأكثر تفوقاً من الإسبان الذين كانوا يتفاخرون بالثروة التي يحصلون عليها من مستعمراتهم في الأمريكيتين كما أصبحت سوقاً للمصنوعات الصوفية الإنكليزية ومصدراً للرسوم والضرائب التي تفرض على

النشاط الاقتصادي المحلي والخارجي. إلى جانب توفيرها فرصاً لتشغيل الأيدي العاملة للشباب الذي لا يجد عملاً في وطنه الأم. لذلك اخذت تتوافد أعداد كبيرة من المهاجرين إلى أمريكا، الذين أخذوا يتوسعون في بناء المستوطنات باتجاه الغرب. وتحويل المدن والقرى إلى ولايات أو أقاليم أكبر، حتى صارت في إنجلترا ثلاثة عشر مستعمرة في الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية ويمكن اعتبار مستعمرة فرجينيا أول مستعمرة إنكليزية في القارة الأمريكية، والتي أقيمت على يد شركة لندن. ومن فرجينيا استمرت عملية تأسيس المستعمرات الإنكليزية لتشمل كل الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية الممتدة على سواحل المحيط الأطلسي من نهر سنت لورنس في الشمال إلى فلوريدا في الجنوب وتتابع إنشاء المستعمرات الإنكليزية في أمريكا الشمالية ولم يأتي عام ١٧٣٣، حتى كانت قد تأسست في منطقة ساحل المحيط الأطلسي ثلاثة عشرة مستعمرة بريطانية تحتل حوالي مساحة الألف ميل.

وفي ١٧٦٣، استحوذت إنكلترا من فرنسا على ما يعرف اليوم بكندا . ومناطق أخرى في الجنوب عند نهر المسيسيبي ونظراً للقوة التي تتميز بها إنكلترا فقد نجحت في أن تضم مناطق سبق وأن خضعت لدول أوروبية أخرى. وكانت المستعمرات الإنكليزية في أمريكا الشمالية، منطقة جذب للمهاجرين نظراً لموقعها المتوسط حيث المناخ المعتدل والموارد الطبيعية الوفيرة . أما المستعمرات الوسطى فقد كان سكانها ينتمون إلى جنسيات وديانات متعددة . إذ عاش الإسبان والبرتغاليين في مجتمعات بجانب المناجم والمزارع واستخدموا فيها الزنوج الأفارقة وبقايا شعوب أمريكا الأصليين من الهنود الحمر وغيرهم .

لحقت فرنسا بركب النشاط الاستعماري الأوروبي في القارة الجديدة فقد بدأت نشاطها في الكشف والاستعمار في الأمريكيتين منذ عام ١٥٢٤، لكن هذا النشاط اصطدم بالعوامل المناخية في كندا ونشاط الهنود الحمر والذي أدى إلى توقف هذا النشاط الاستيطاني في هذه المنطقة لكنه بقي مستمراً في البرازيل وفلوريدا. وهنا بدأت المصالح الاستعمارية تظهر بين الدول الأوربية إذ فشلت هاتين

المحاولتين بسبب معارضة البرتغال لنزول الفرنسيين في ريودي جانيرو، ومعارضة الإسبان لنزولهم في فلوريدا. لكن النشاط الفرنسي عاد مرة أخرى إلى الشمال حيث تأسست مستعمرة فرنسا الجديدة وهي كندا الحالية وذلك بجهود كبيرة من صموئيل دي شملان ، وتم تأسيس مدينة كوبك ومدينة مونتريال . وفي عام ١٦٨٢، اكتشف دي لاسال مصب النهر المسيسيبي على خليج المكسيك وأعلن امتلاك فرنسا لحوض نهر المسيسيبي، أي لكل الروافد الداخلة فيه والأراضي التي ترويها.

برز الخلاف الأمريكي – الفرنسي على المستعمرات الفرنسية وبخاصة على أكبرها مساحة في أمريكا الشمالية وهي لويزيانا التي تمتد من نهر المسيني حتى جبال روكي وعلى شكل هلال يمنع امتداد الولايات المتحدة الأمريكية غرباً.

ومنذ عام ١٧٦٣ تنازلت فرنسا عنها لإسبانيا، إلا أن نابليون أرغم إسبانيا على إعادة لويزيانا إلى فرنسا ثانية وكان ذلك يشكل مصدر خطر على التوسع الأمريكي، وذلك لأن فرنسا القوية ستكون مجاورة للولايات المتحدة الأمريكية ليست كإسبانيا الاقل قوة. ومن هنا دخلت لويزيانا في حسابات الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون وعندما استعاد الفرنسيون إقليم لويزيانا من إسبانيا مارسوا ضغطاً على الشعب الأمريكي بنقض حقوقه في استخدام نهر المسيسيبي وميناء نيو اورليانز الذي لا غنى عنه في تصدير المحاصيل الزراعية. وكان نابليون بونابرت يحلم بتكوين إمبراطورية فرنسية في العالم الجديد. وقد أثار هذا الموقف الفرنسي الأمريكيين في عاصمتهم الجديدة واشنطن. وقد ربط جيفرسون بين رغبته في التفاوض مع نابليون لشراء بعض أراضي لويزيانا بخاصه إقليم غرب فلوريدا ونيو أورليانز، وبين التلويح بتحالف إنكليزي أمريكي ضد فرنسا. وقد كانت من أهم الصعوبات التي واجهت المستعمرات الإنكليزية الثلاثة عشر هو الصراع الإنكليزي الفرنسي وذلك بسبب العداء البروتستانتي الكاثوليكي وبسبب التنافس على تجارة الفراء بين التجار الإنكليز والفرنسيين، إلى جانب الصراع التقليدي بين فرنسا وإنكلترا في أوروبا ، والذي انتقل إلى مستعمرات الفريقين في أمريكا، وقد

تمثل هذا الصراع في اشتعال عدة حروب بين الطرفين منها حرب الوراثة الاسبانية وحرب الوراثة النمساوية وحرب السنوات السبع، والحروب النابليونية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهكذا استولت بريطانيا على الكثير من ممتلكات فرنسا الاستعمارية فضلاً عن توسعها على حساب هولندا وإسبانيا والبرتغال، وأصبحت بريطانيا بفضل سعة إمبراطوريتها من جهة وتفوقها الصناعي من جهة أخرى أقوى دولة طيلة القرن التاسع عشر .

كان نابليون بونابرت يخطط لتحقيق مشروعه في إنشاء إمبراطورية فرنسية في العالم الجديد، لكنه تعرض للفشل في تحقيق هذا المشروع بعد ثورة المستعمرات الفرنسية في جزر الهند الغربية وبدأت علامات الحرب ضد فرنسا تلوح بالأفق. وقد عرض على المفاوضين الأمريكيين الذين وصلوا إلى باريس للتفاوض حول شراء نيو أورليانز وغرب فلوريدا شراء كل إقليم لويزيانا. وبالفعل تمت الصفقة التي دفعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية خمسة عشر مليون دولار.

بشراء لويزيانا تضاعفت مساحة الولايات المتحدة الأمريكية وأبعدت إسبانيا إلى الجبال والصحراء في الغرب، وأصبح المسيسيبي نهراً أمريكياً على كلا جانبيه ومن منبعه إلى مصبه وسجلت فرنسا على نفسها وبنفسها انتهاء مشروعاتها الاستعمارية بأمريكا الشمالية. وقد تم انزال العلم الفرنسي من ساريته في نيو أورليانز عاصمة لويزيانا في خريف ١٨٠٣، وبذلك كسبت الولايات المتحدة الأمريكية منطقة من السهول الخصبة لم تلبث أن غدت في ثمانين عام من أعظم مناطق الجنوب في العالم، فضلاً عن الأشراف على المجموعة النهرية الوسطى جميعها بالقارة، وقد شهدت هذه المناطق تدفق المهاجرين الأمريكيين بشكل كبير.

وقد تطلعت الحكومة الأمريكية إلى الاستحواذ على المستعمرات الإسبانية في أمريكا الشمالية منتهزة فرصة الثورة بين المستوطنين في هذه المستعمرات ضد الحكم الإسباني، وقد كانت شبه جزيرة فلوريدا أول المستعمرات الإسبانية التي حصلت عليها الولايات المتحدة الأمريكية. وقد جاءت خطوة الحكومة

الأمريكية استجابة لمزارعي جورجيا ومستوطني منطقة المسيسيبي، والذين رأوا في امتلاك فلوريدا حماية لهم من هنود السيمنول الذين لا يقبلون الخضوع التام لأي سلطة خارجية مما جعل إسبانيا عاجزة عن حراسة ممتلكاتها في فلوريدا . وقد أرسل الرئيس الأمريكي جيمس مونرو قائده اندرو جاكسون إلى فلوريدا لتأديب هنود السيمنول. والذين كانوا كثيراً ما يغيرون على مواطني الولايات المتحدة الأمريكية . وقد نجح جاكسون في اجتياح فلوريدا عام ١٨١٨، واحتلالها بسهولة ثم تنازلت إسبانيا عنها مقابل خمسة ملايين دولار، والتي لم تتسلمها الحكومة الاسبانية بل حصل الأمريكيون عليها الذين كانت لديهم ادعاءات ومطالب عند الحكومة الاسبانية وتم التوقيع على الاتفاق بين الحكومتين الأمريكية والإسبانية عام ١٨١٩ .

ومنذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، ظهرت هولندا كواحدة من الدول الاستعمارية التي تبحث لها عن موطئ قدم في القارة الأمريكية. وتمكنت من الاستيلاء على أغلب المستعمرات البرتغالية في الشرق. لكن هذه السيطرة لم تدم طويلاً إذ سرعان ما فقدت سيادتها الاستعمارية على يد بريطانيا التي استطاعت بعد سلسلة من الحروب الناجحة ضدها أن تحطمها كقوة ذات أثر في مجال التوسع الاستعماري في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

تطلعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى بقية المستعمرات الإسبانية في البحر الكاريبي والمحيط الهندي واتجهت إلى كوبا والفلبين.

كانت كوبا تمثل مركز الإمبراطورية الإسبانية في أمريكا، ونظراً لموقعها الجغرافي المواجه لشبه جزيرة فلوريدا ، فضلاً عن كونها اكبر وأغنى جزيرة في الهند الغربية الذي يتوافر فيها مزارع قصب السكر الواسعة، مما يوفر احد المصادر الغذائية التي تستوردها الحكومة الأمريكية، لذلك كان التوجه الأمريكي في السيطرة على هذه المناطق وإنهاء السيطرة والوجود الإسباني فيها. وهنا انتهزت فرصة ثورة الرقيق في جزيرة كوبا ضد الحكم الإسباني المتسم بالقسوة الشديدة، وعرضت عام ١٨٤٨، على

إسبانيا أن تشتري الجزيرة منها، لكن إسبانيا رفضت العرض الأمريكي وكانت الحكومة الأمريكية تحاول الابتعاد عن الدخول في حرب مع إسبانيا للسيطرة على كوبا وذلك للخشية من الموقف الإنكليزي الفرنسي المؤيد لإسبانيا من جهة، والموقف الداخلي بين ولايات الشمال والجنوب من جهة أخرى .

في عام ١٨٩٤، بدأت سلسلة من الثورات المسلحة في كوبا ضد الحكم الإسباني، واستمرت حوالي أربع سنوات في شكل حرب أهلية، وكانت واحدة من الأسباب التي دعت إلى اندلاع الحرب الأمريكية – الاسبانية في عام ١٨٩٨، وذلك بدعوى حماية المصالح الرأسمالية من ناحية، والثأر من انفجار البارجة الحربية الأمريكية في خليج هافانا من ناحية أخرى. وقد انتهت هذه الحرب بتكبد القوات الاسبانية لخسائر كبيرة مما جعلها ترضخ لشروط معاهدة باريس في كانون الأول ١٨٩٨، والتي نصت على استقلال كوبا تحت الحماية الأمريكية والتنازل للولايات المتحدة الأمريكية عن كل من بورتوريكو وجزر الفلبين وهاواي مقابل عشرون مليون دولار . أما كوبا، فقد أصبحت تحت الحماية الأمريكية المقنعة منذ عام ١٩٠١. والفلبين فقد أصبحت منذ عام ١٨٩٨، جزءاً من من المستعمرات الأمريكية، وذلك بعد غزو الأسطول الأمريكي لهذه الجزر، وتدمير الأسطول الإسباني هناك واستسلام الفلبين للحكم الجديد، وقد تمسكت بها الحكومة الأمريكية لكونها من أضخم الممتلكات الأمريكية فيما وراء البحار، ولذلك فقد قضت القوات الأمريكية على ثورات أهل الفلبين ضد الحكم الأمريكي التي بدأت عام ١٩٠٠، والتي استمرت عدة سنوات قبل أن تخمد نهائياً. ومن المناطق المهمة الأخرى والتي شكل السيطرة عليها مسألة خلاف كبير بين الولايات المتحدة والدول الاوروبية كانت مسألة التوسع الأمريكي صوب خليج المكسيك ونحو المحيط الهادي، وباتجاه أمريكا الوسطى، وكانت الأنظار الأمريكية تتجه نحو تكساس وكاليفورنيا وأمريكا الوسطى ففي أمريكا الوسطى جاء الاهتمام الأمريكي بعد ضم ساحل المحيط الهادي ورغبة الحكومة الأمريكية بضم هذا

الساحل بالأرض الأمريكية بقنوات اتصال سريعة مأمونة. ويتم تحقيق هذا الهدف بإنشاء قناة في برزخ بنما تصل بين المحيط الأطلسي والهادي وذلك طالما أن المواصلات البرية بين كاليفورنيا والولايات المتحدة الأمريكية في الشرق كانت غير ممكنة . وهنا كانت بريطانيا هي العقبة الأولى أمام التوسع الأمريكي الذي لم يكن بوسعها تجاهل الموقف البريطاني. ولذلك دارت المفاوضات بين الطرفين والتي انتهت بعقد معاهدة (كلايتون–بلوير) عام ١٨٥٠، والتي نصت على إنشاء قناة تصل بين المحيطين بواسطة شركة إنكلو– أمريكية وأن تكون القناة محايدة . وأن لا تلجأ أي من الدولتين إلى فرض سيطرتها على الأراضي القريبة من القناة. وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة لم ترض الأمريكيين بسبب مشاركة الإنكليز لهم، فقد عُدلت هذه المعاهدة عام ١٩٠١، بمنح الولايات المتحدة الأمريكية وبموجب معاهدة جديدة عقدت بين البلدين، حق الأشراف على القناة البحرية وإدارتها والدفاع عنها، وأصبح لها الحق في إقامة التحصينات واتخاذ كافة التدابير اللازمة لقمع الاضطرابات التي قد تنشأ في منطقة القناة . وهكذا أطلقت هذه المعاهدة يد الحكومة الأمريكية في التصرف كما تشاء في منطقة أمريكا الوسطى.

وعلى الرغم من أن السياسة التوسعية التي مارستها الدول في مستعمراتها، كانت مصدرا لأرباح كبيرة لجميع هذه الدول لكن أثرها كانت مختلفاً من دولة لأخرى فهي في الدول الاقطاعية كإسبانيا والبرتغال كانت تساعد على ركود وتدهور هذه الدول، لأن الاموال الطائلة الواردة من المستعمرات كانت تذهب إلى الملوك المستبدين وإلى النبلاء والكنيسة، إذ تتدخل في أمور غير انتاجية، فتعزز بذلك الأنظمة الاقطاعية. أما في الدول الرأسمالية مثل بريطانيا وهولندا فإن السياسة الاستعمارية قد عجلت في تطور الرأسمالية وساعدت على ازدهار التجارة والصناعة وزادت من قوة وثراء البرجوازية.

وهكذا كانت للمصالح الاستعمارية ورغبة الدول الأوروبية في تطوير سياساتها التوسعية سبباً في أثارة الخلاف مع الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت ترى في هذه المستعمرات هي حقاً مكتسباً لها ليس لإسبانيا أو أي دولة أوروبية أخرى الحق في السيطرة والتملك فيها .

**المصادر:**

روبرت سي الآن، التاريخ الاقتصادي العالمي، ترجمة محمد سعيد طنطاوي، مراجعة هبة نجيب مغربي.